النظرية التعليمية عند أبي حامد الغزالي

مقدمه

تميز الفكر التربوي الاسلامي بالأصالة والسبق والتميز، وهذا ما نجده في التراث التربوي الهام الذي تركه علماء التربية المسلمون. ومن هؤلاء الشيخ ابو حامد الغزالي الذي برز مربيا ومعلما يمتلك ادوات تربوية دقيقه قد تصل الى ما يصطلح عليه اليوم بالتعليمية. في هذه المحاضرة سنتناول أهم الافكار التربوية التي فصلها الغزالي في كتبه على اختلافها ومن هذه الكتب ميزان العمل الاحياء الادب في الدين ورساله ايها الولد.

التعريف بأبي حامد الغزالي وحياته

ولد الغزالي سنة 450 هجريه ونشأ في أسرة فقيره الحال فقد كان ابوه يعمل في غزل الصوفي وبيعه في طبران طوس بجرجان وكان والده يميل الى الصوفية والزهد ومجالس الوعظ ولم يخلف غير ابي حامد الغزالي واخوه احمد الذي كان يصغره سنا وعندما اشرف والده على الوفاه عهد ببنيه الى صوفي ليتكفل بهما واعطاه ما لديه من مال ليصرفه على تربيتهما وتعليمهما وتعويضهما ما حرم هو منه من العلم.

من شيوخ الغزالي أحمد بن محمد الرادكاني الذي درس عنده الفقه على المذهب الشافعي وابو نصر اسماعيل بن مسعد الجرجاني وامام الحرمين ابي المعالي الجويني رئيس المدرسة النظامية بنيسابور. وهناك برع الغزالي في المنطق والمحاورة وعرف مناهج الفلاسفة وطرق الرد عليهم، كما برع في المذهب الشافعي والجدل واصول الدين واصول الفقه والمنطق وقرا الحكمة والفلسفة. وبدا حياه الكتابة والتأليف وصنف في علوم مختلفة فقد كان شديد الذكاء شديد النظر عجيب الفطرة مفرط الادراك قوي الحافظة بعيد الغور غواصا على المعاني الدقيقة حتى وصفه استاذه الجويني بقوله: "الغزالي بحر مغلق". وعند بلوغه الرابعة والثلاثين من العمر سار الى العراق ليدرس بالمدرسة النظامية ببغداد وكانت شهرته قد سبقته إليها فاستقبل بها استقبالا حافلا وأعجب الخلق بحسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكاته الدقيقة واشاراته اللطيفة تعوقد بلغ اوجه مجده العلمي في هذه المدرسة.

معالم الرؤية التربوية لأبي حامد الغزالي

برز الغزالي في الفقه على المذهب الشافعي واجتهد فيه حتى اصبحت له أراءه التي خالف بها سادة مذهبه كما برز في كذلك بين المتكلمين بدفاعه عن عقيده أهل السنة وانبرى بعبقريته الجدلية لمناهضه المعتزلة والتعليمية الباطنية وهما اقوى الطوائف المعارضة في عصره فأخمد بدعتهما وقد كان لهذه الممارسة لعلم الكلام الذي يجمع بين الاخذ بالعقل والنقل اثره في فكره التربوي وكان هذا الجمع من ابرز اسسه. لذلك يؤكد الغزالي في منهجه التربوي على فك رابطة التقليد لتحرير ملكة الابداع والاجتهاد.

كما تميز الغزالي بتجديده في الاسلوب ونمط الاستدلال والبيان ويعد اول من اضفى الطابع العقلي على علم الكلام الاشعري وذلك باستخدامه للمنطق في الدفاع عن القضايا الكلامية دون التعصب لاتجاه او مذهب فالموضوعية العلمية والتجرد للحق والخضوع للدليل هي من معالم فكر الغزالي التي اسس لها في منهجيته التربوية.

يعتمد الغزالي طريقه خاصه في طلب الحقيقة وهي طريقه اراد بها الجمع بين التربية والتعلم الذي يبتغي ربط الانسان بربه فهو الهدف الاول للعملية التربوية وهو ما يتعذر تحصيله مع الاسراف في الجدل.

يرى الغزالي ان المنهج او كما يسميه المذهب يقسم ثلاثة تقسيمات اولها مذهب الاباء والبلد وهو مذهب الطالب المتعلم وثانيها مذهب او منهج الارشاد التربوي والتعليم وهو مذهب المعلم والداعية وثالثها المذهب او المنهج الخاص في علاقه المرء بربه.

تعرض الغزالي في أواخر حياته لازمه نفسيه جعلته يعيد النظر في شخصيته كعالم ومعلم لذلك اعتزل الناس وترك التعليم لمده 10 سنوات سافر فيها من الشام الى الحجاز وفي خلوته تلك اكتسب تجربة روحية وتربوية ارشدته الى اهمية التكامل المعرفي بين المناهج التربوية والمعرفية في بناء الشخصية المتكاملة المتزنة.

الأسس التربوية عند ابي حمد الغزالي

-وضوح الغاية وتحديد معنى الحياة فغاية خلق الانسان هي العبودية لله ولذلك فإن الهدف الأساسي للعملية التربوية عند الغزالي يتجه نحو بناء الفرد المتمسك بغايه وجوده. حيث نجده في كتابه إحياء علوم الدين خصص ربوعه للعبادات وبدأه بالعلم على اعتباره عبادة تقوم عليها العملية التربوية وتطرق فيه لفضل العلم والتعليم والتعلم وقسم العلوم الى علوم أساسية هي فرض عين وعلوم تخصصية هي فرض كفاية.

-التوافق بين فطرة الانسان ونفسه والكون؛ فالفكر التربوي عند الغزالي يراعي في مضمونه التوافق مع فطرة الإنسان ويلبي حاجياته النفسية، كالعبودية لله وحده التي تحرر الإنسان من الخضوع لشهواته والخضوع لغيره، كما تعلمه المسؤولية وتنمي شعوره بها.

-فكر تربوي متعدد الانساق انساق معرفيه وتشريعيه وسلوكيه وقيميه؛ فقد بني الفكر التربوي عند الغزالي على بناء معارف تتوافق مع مظاهر ثلاث: ديني واجتماعي وكوني، مؤكدا على المعارف الدينية والاجتماعية والكونية التي أسهمت في إثراء الأنساق المعرفية المتعلقة بمعرفة الله والإنسان والحياة والكون، كما أسهمت من جهة أخرى في إثراء الأنساق السلوكية والقيمية. فالتمسك بالعبودية بمظاهرها الثلاث مع منهاج تربوي يجمع بين تلك المعارف يخرج لنا فردا متكاملا في معارفه وسلوكه ورؤيته.

-العلماء أساس العملية التربوية، وهو يقصد بهم المعلمين، ويقسمهم إلى قسمين: علماء الظاهر ممن تعلقت علومهم بأمور الدنيا وحياة الناس سواء منها العلوم الشرعية أو العلوم الكونية، وعلماء الباطن وهم القائمون على إصلاح القلوب ونزكيتها وتربية النفوس. فنجده بذلك يربط التعليم بالتربية.

-توفير بيئة تربوية: يؤكد الغزالي على ضرورة توفير بيئة تربوية داخل الأسرة والمجتمع حيث يتلقى القيم والأخلاق، لأن بناء الفرد الصالح يؤدي إلى بناء المجتمع السليم.